

# فكاهات

حلول العام

كان يقيم في شارع حقير من شوارع لندن المدينة العظيمة رجلٌ قد ناهز الحسين من عمره وبعه ابنة له في الثامنة عشرة من سنيتها . وكان اسم الرجل توها هلفيلد واسم ابنته فلورا . وكانت هيئة الرجل وملامحه تدل على انه كان من اولاد النعم وذوي الوجاهة والمال وكذلك ابنته كانت مثال ابيا في الهيئة والرواء ظاهرة فيها امارات الشرف وكرم الاصل . وكانت لا تعرف لها اهلاً ولا تعلم من تأريخها شيئاً سوى انها ووالدها يقمان في ذلك الشارع الحقير في منزل مؤلف من ثلاث غرف قد رتبها والدها بقدر استطاعته . وكان ابوها قد وضعها في مدرسة داخلية قضت فيها جانباً من حياتها فتلقت فيها ما يلزمها وما يريدُه والدها من العلوم والتدريب ولما اتمت ايامها المدرسية عادت الى بيتها فوجدت والدها يدب مجتهداً لتحصيل القوت واحتياجات الحياة فيتجاهل على ضعفه ويستنهض قوته الباقية ليوفر لابنته اسباب الراحة والسرور . فلم يرق في عيني فلورا ان تعيش على ما يقطر من دماء قلب ابيا فجعلت تسعى سرّاً في وجدان شيء تعمله الى ان توقفت اخيراً الى سيدة من ذوات الثروة كانت تذهب اليها كل يوم فتقرأ لها كتباً وتكتب لها رسائل على الآلة الكتائية باجرة تعادل نصف ما يحصلُه والدها . وعلم المستر هلفيلد بامر ابنته فالتهب صدره حرقاً ولكنه رأى ان دخله وحده لا يكفي لمعيشة كليهما فاضطر الى الصمت وفي صدره نازٌ آكلة ولكنه ما لبث ان عاجله مرض عضال القاه على سريره فاقد القوى وزاد عليه ما يعانیه من الانفعالات الباطنة فتسلطت عليه حتى كانت تنوبه فتفقده رشاده . ولما رأت فلورا حالة والدها هذه استأذنت

(١) معرفة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

السيدة التي تشغل عندها في البقاء عند والدها لتمريره فاذنت لها وامرت طيبها الخاص ان يزور المريض ويعتني به . ولما جاء الطيب وخص حالته رأى ان علته لا تقبل الشفاء وتبين له من اعراض الداء انه قد لا تمضي عليه تلك الليلة وهو في قيد الحياة . وكانت فلورا ملازمة لرفة والدها فحُثت الى سريره واستغرقت في صلاة حارة تطلب الى الخالق عز وجل ان يلف بجالتها وين عليها بحياة والدها وكانت اذ ذلك آخذة يده الباردة في راحتها تقبلها وتغسلها بدموعها . وكان ذلك الوالد الشيخ قد افاق الافاقة الاخيرة من غيبوته ورأى ابنته بجانبه فانهملت دموعه ثم جذبها الى صدره فقبلها متنهداً من كبد حرى ثم قال لها اني اشعر يا فلورا بدنو اجلي ولست آسف على حياتي لكن يشق عليّ تركك بدون نصير لولا ما اعهدك من رزانتك وحسن تربيتك . ولدي وصية لا بد من ابلاغك اياها ووعدك لي بالقيام بها قبل ان يعاجلني الموت . اذكري ما حيت والدتك الفاضلة واعبدي ذكرها فانها كانت ملكاً كريماً لم يسمح لها الله ان تراك فقد ماتت بعد ولادتك بوقت قصير ثم اذا مت فتوجهي بعد موتي الى بيت اللرد شستر واسألني عنه واسمه اللورد سسل شستر ولا بد من مقابلته فاذا صرت في حضرته فقول لي ان اخاك توما على سريره قد صفح لك عما اقترفت في حقك وانه حال تركه هذا العالم الفاني ودخوله العالم الابدي يسامحك عن كل سيئاتك ويباركك . ثم انقطع المستر هلفيلد عن الكلام وكانت فلورا في اشد حالات اليأس والغم ولكنها لدى سماع كلمات والدها اصبت كالسائر في عالم الخيال وخطر لها ان والدها يهذي . وكان المئات شعر بتأثير كلماته على ولده فاستنهض قواه مرة اخرى وقال لها لا تصوري يا ولدي اني اتكلم عن عدم تعقل فانا الآن بتمام ادراكي وان تكن روجي قد قاربت التراقي فتعالي قبلي القبله الاخيرة وعديني ان تقومي بما اوصيتك . فالقت فلورا بنفسها على صدر والدها ولما هممت بتقبيله شعرت بنفس حار ينبعث من بين شفتيه ثم ارتسمت على فيه ابتسامة هينة فاطبق عينيه وسارت روحه الى خالقها تاركة ذلك الجسم الترابي بين يدي الابنة المسكينه تناديه الى الحياة بزفيرها وشهيقها وتغسله بدموعها

واهتمت فلورا بدفن جثة ابيها وفي اليوم الثالث ازمعت على القيام بوصية والدها فارتدت ثياباً سوداء حداداً على فقيدتها ثم سألت عن بيت اللرد سسل شستر فقيل لها انه يبعد عن منزلها نحو ثلاثة اميال . فخطر لها اولاً ان تكتري عربةً ولكنها لم تجد بدءاً من الاقتصاد في النفقة فمادت وقصدته مشياً على القدم الى ان وصلت الى بقعة من الارض محاطة بسورٍ من شجر التفاح والكثيرى ولما بلغت بابها رأت ضمن السور حديقةً واسعة الارحاء فيها من جميع اصناف الاشجار والرياحين والازهار وقد قام في وسط الحديقة بناءٌ فخيمٌ تنعكس اشعة الشمس عن زجاج نوافذه فينبعث منها نورٌ يزيد في ابهة البناء وهو كقصور الملوك . فوقفت فلورا حيناً تسرح الطرف في تلك المناظر البهيجة ثم قالت لم يعايني والدي عن اصله شيئاً ولم اعرف من امره سوى انه رجلٌ فقير الحال قد سدّت السعادة في وجهه ابوابها فقضى حياته في الفقر المدقع يدأب للقيام بأوده وأودي ولكنه يستفاد من وصاته الاخيرة وامره اياي ان اقبل اللورد سسل شستر واقول له ان اخاه توه قد سلمحه ان اللورد المذكور هو حقيقةً اخوه فانا اذاً الآن في املاك عمي . . . . . لكن لماذا يا ترى سلمحه والدي وعلى اي شيء . . . . . الظاهر من ذلك ان هذا الملك كان حقاً لوالدي فاغتصبه اخوه وحرمه اياه فلا بد ان صفح والدي كان عن هذا الامر او ما يقرب اليه . . . . . ومن كان يظن ان ابنة فقيرة مثلي يكون لعمها مثل هذه الاراضي وهذا القصر الجميل . بل من يدري ان هذه الاملاك ليست حقاً لي . . . . . هل يقبلني عمي الآن يا ترى وهل يرى فقري فيدعوني للاقامة معه واذا فعل فهل اقبل وابقى . . ان والدي لم يأمرني بذلك ولم يشير اليه فآه ما اعجلك يا موت ولم تمهله ريثما يفيض لي في شرح ما تجب علي معرفته . . . . . ولكن مالي وللاعتراض على احكام الله فقد جئت لاقوم بما اقسمت عليه فيجب ان اتم الامر وارجع للحال . ولما قالت ذلك تنهدت من كبدٍ حرى ومسحت بمنديلها الدموع المترققة في مآقيها وتقدمت الى باب القصر فقرعته بلطفٍ فظهرت لها خادمة المنزل فقالت فلورا هل اللرد سسل شستر هنا قالت الخادمة نعم . قالت قولي

لهُ انني اودّ مواجتهُ في امرٍ مهمّ اذا سمح لي بدقيقتين من وقته . وخطر للخادمة ان تردّ فلورا من حيث اتت معتقدةً انها من طالبي الاحسان ولكنها رأت في هيئتها ما يدل على خلاف ذلك واثر فيها ما رأت على ملامحها من دلائل الانكسار فغيرت فكرها وقالت لها اتأذنين لي ايتها السيدة ان اذكر لهُ اسمك . فقالت فلورا لا مانع البتة ولكنني اعتقد انهُ لا يعرفني فاذا سألكِ فقولي لهُ فلورا هلفيلد

فقدمت الخادمة لها كرسيّاً ودخلت فما غابت الا القليل حتى عادت وشارت اليها بالدخول فمشت فلورا في تلك الاروقة الجميلة وبين الطنافس الحريرية الثمينة وهي كأنها لا ترى شيئاً غريباً ولما اوصلتها الخادمة الى امام مكتب اللرد قالت لها هو هنا يا سيدتي فتفضلي بالدخول . ولما دخلت فلورا وجدت غرفةً فسيحةً مزدانة بالصور والمكاتب العديدة وفي منتصف الغرفة مائدة قد جلس اليها فتى في الحادية والعشرين من عمره جميل الصورة بهي الطلعة رشيق القوام . فلما وقعت عينه على الفتاة نهض فاستقبلها وقدم لها كرسيّاً للجلوس . اما هي فأنجحت تشكراً ولم تجلس ثم قالت لهُ أنت اللرد سسل شستر . قال نعم فهل من حاجةٍ اقدر ان اخدمك بها . قالت اشكرك ايها المحترم انما لدي رسالةٌ اليك من اخيك جئت لاقوم باطلاعها . ورأت فلورا على وجه الفتى علائم الاستغراب ولكنها مضت في حديثها فقالت ان والذي توما هلفيلد قد قضى نحبهُ منذ ثلاثة ايام وقد استدعاني قبل وفاته وعاهدني على سريره موتهُ ان اقصد اللرد سسل شستر واقول لهُ ان اخاك توما قد صفع لك عما اجترمت اليه وانهُ عند تركه هذا العالم الغاني يسامحك عن كل سيئاتك ويباركك . فقال اللرد اما انا فلا اخ لي واظن ان المقصود برسالتك هو المرحوم والذي الذي توفي منذ سنتين فقد كان اسمه كاسمي وكان يخبرني قبل وفاته ان لهُ اخاً يدعى توما سافر قبل مولدي ولم يدر احدٌ اين مقرهُ . وأعلم ايضاً ان والذي اجتهد كثيراً ان يعرف مكان اخيه المذكور واعلن ذلك في عدة جرائد فلم يحصل على طائل واخيراً اعتقد ان اخاهُ اصبح في عالم الاموات فغيرت حالتهُ وقضى ايامهُ الاخيرة في غاية الحزن والكآبة . واعلم ايضاً ان جدي كان يدعى هلفيلد فيظهر ان

ابك لقب نفسه بهذا الاسم كي لا يهتدي والدي اليه  
 وكانت فلورا تسمع كلامه ولا تفقه شيئاً ولم يرق لها الاسلوب الذي تلقى به  
 الرد خبر وفاة عمه وعدم اهتمامه بالمساحة التي جاءت بها فلما اكل حديثه قالت  
 اذاً لم يبق امل في ايصال كلام والدي الى محله ولكنني قمت بما وعدته وقد اديت  
 رسالتي فاستأذنتك في الذهاب . ولما قالت ذلك انحت ثانية وهمت بالخروج . وكان  
 الرد الفتى افاق من غفلته فوثب اليها واخذ بيدها وقال والى اين تذهبن يا ابنة  
 العم وقد اصبحت ولا بيت لك . قالت بل الامر على عكس ما ظننت فان لي بيتاً  
 كنت اقيم فيه مع والدي ولا ارى ما يدعوني الى البقاء هنا . قال يدعوك الى  
 البقاء هنا وجودك بين اسرة عمك الذين كانوا يجهلون وجودك . قالت اني لم ادر  
 ان لي اقارب الامنذ بضعة ايام ويسهل علي نسيان ذلك كما يسهل عليك ايضاً ان  
 تنسى هذه المقابلة فاسمح لي ان اذهب . قال لا لا . لا يمكن ذلك قبل ان تري  
 شقيقي متيلدا وتراك فر بما كانت اقدر مني على استبقائك . ولما قال هذا قرع  
 جرساً فدخل الخادم فأمره ان يدعو شقيقته متيلدا وما غاب الا دقيقة حتى حضرت  
 شقيقة الرد وهي اصغر منه سنّاً واجمل شكلاً فعرّفها بابنة عمه وقص عليها ما جرى  
 باختصار فوثبت متيلدا الى عنق ابنة عمها تقبلها ثم قالت لها اهلاً بك يا عزيزتي  
 فلورا ان سعدنا سيكون كاملاً بوجودك معنا فتعالى اريك غرفتي وثيابي وصوري  
 وخبولي . . . فقطعت عليها فلورا قائلة اشكرك ايتها العزيزة فاني لا يساعدي  
 الوقت على اطالة الزيارة ولا بد من ذهابي الان . وحاول سسل ومتيلدا ان يقنعاها  
 بالبقاء فأبت او ان يصحباها في رجوعها فلم ترض فودعتها وسارت تاركة الاخوين  
 يتباحثان في الامر ويمعجان من تصرفها . ثم قالت متيلدا لا بد من اتباعها وتغيير عزمها  
 فانها وحيدة حيث هي ولا ينبغي ان تتركها هكذا ثم امرت فأحضروا لها عربتها  
 فركبتها وانفذت بالسوط على الجواد حتى ادركت فلورا فألحت عليها ان تركب  
 معها ففعلت واجتهدت ان ترجع بها الى بيتها فامتنعت ولما بلغتا الى منتصف الطريق  
 استأذنت فلورا ابنة عمها في الانفصال فودع بعضها بعضاً وافترقتا . وقالت متيلدا

اذا رأيت نفسك في حاجة الى شيء ايتها العزيزة فلا تتأخري عن ابلاغني اما انا  
فاذا شئت ان اكتب اليك فما هو عنوانك . فقالت فلورا بانكسار اني اسكن بيتاً  
حقيراً في شارع براند وهكذا افترقنا فعادت كلٌّ منهما الى مقرها  
وفي اليوم الثاني عادت فلورا الى اشغالها عند السيدة العجوز حسب العادة فقالت  
لها اين كنت امس يا فلورا فقد ذهبت لاراك فقيل لي انك قد خرجت . قالت  
نعم ذهبت الى بيت اللرد شستر لتأدية رسالة . قالت السيدة اني اعرف هذه الاسرة  
واعرف ان ابن اللرد شستر البكر بذّر اموال ابيه وارتكب جرائم عديدة ثم سافر  
الى حيث لا يعلم احد واتقطعت اخباره وعلله مات . فتصاعد الدم الى وجنتي  
فلورا وقالت نعم انه مات منذ بضعة ايام ولكنه لم يكن كما تقولين فانه لم يرتكب  
اشئاً ولم يأت منكرأ وقد اتهمه الناس بأمر هو بري منها براءة الملائكة من شرور  
الناس . قالت ومن اين تعلمين ذلك . قالت انا اعلم الناس بوالدي . فتعجبت  
السيدة جداً وقالت قد يكون الامر كما ذكرت ولكن الاعتقاد العام على ان توما  
شستر رجل رديء لم يكن يستحق اسم اسرته فغير لقبه . فظرت اليها فلورا شزراً  
وقالت الا تزاين تعتقدين هكذا وقد قلت لك انه بريء فما دمت لا تحترمين  
شرف الميت ولا تراعين عواطف ابنته المنكسرة القلب فلست بياقية عندك بعد  
الآن وصممت على ترك شغلها . واشفقت السيدة على فلورا فألحت عليها بالبقاء  
وعدم العود الى هذا الموضوع فأبت وودعت السيدة وعادت الى بيتها . ومضت  
عليها عدة ايام وهي في ضيق عظيم لا تدري ماذا تفعل وكانت القود القليلة الباقية  
معها تنفذ شيئاً فشيئاً فرأت انه لا بد لها من استعمال الحكمة فتركت من بيتها غرفتين  
واكتفت بواحدة وسعت في البحث عن شغل فلم تفلح فصارت توفّر من دراهمها  
ما امكن حتى اذا فرغت عمدت الى بيع ما لديها من الاثاث فقضت ستة اشهر في  
اشدّ الضنك والضييق . وكانت تلك السنة قد اشرفت على النهاية فجلست يوماً على  
سريرها تندب سوء حظها وتذكر العام الفائت وما جرّ عليها من الويلات ثم جثت  
فصلّت الى الله ان يفتح عليها في السنة الجديدة بما ينسبها مصائبها او يأخذها الى

حيث سبقها والداها فنستريح من متاعب الحياة

واشرقت شمس اليوم الاول من العام الجديد وفلورا جالسة في غرفتها تندب شقاءها فان تقودها كانت قد نفذت ولم تذق طعاماً من امس ثم شخصت بصرها الى السماء فقالت لم تتحسن حالتي يا الهي فكأنك رأيت الاصلح لي ان تنقلني الى حيث ينتظرنى والداي فهنا انا مستعدة لذلك . وكان الجوع والضعف واضطراب البال قد اثر فيها كثيراً وشعرت بانحلال عظيم وغشيت بصرها غيمة كثيفة فلم تعد تميز الاشياء الموجودة امامها . . . واذا يبها يقرع قرعاً خفيفاً فتحاملت على نفسها ونهضت الى الباب ولما فتحتة اذا امامها سسل ومثليدا فرجعت الى الوراء مذعورة واثر فيها ما رأياه من ضعفها وتهافتها فابتدرا اليها وامسكها عن السقوط ولم يحتج سسل الى شرح ما الم بآبنة عمه فاسرع واحضر لها بعض القوت والمنعشات فلما عاد اليها شيء من قوتها جلس وشقيقته بجانبها وجعل كل منهما ينظر الى الآخر وينتظر ان يبتدئ بالحديث . واخيراً تقدم سسل وطوق عنق فلورا بذراعيه وقال لقد مررت علينا ايها الحبيبة زيارتك الاولى كالم رأينا من نفورك عنا ما انسانا تلك المقاتلة . وان والدي ترك لي بعد وفاته اشغالا كثيرة الهتني عن كل شيء وقد تفرغت اخيراً لترتيب البيت والاطلاع على اوراق والدي القديمة وكتبه وبيننا انا افضل ذلك عثرت في مكتبته على رقعة باسمي كتبها بخطه وقد كتب عليها ان لا أفتحها الا بعد وفاته . ولما قرأت الرقعة اطلعت شقيقتي عليها وصممت ان نجدك وندفعها اليك فانها تختص بك دوننا وهما هي . فتناولت فلورا الرقعة ولكنها لم تستطع قراءة كلمة واحدة منها لاستحواذ الضعف عليها فارجمتها وقالت لا اقدر الآن على مطالعتها . قال لا بد اذا من اسماعك ما فيها ثم اخذ يقرأ لها الرقعة وكان فيها ما يلي

ولدي العزيز سسل شستر

اني التي اليك حقيقةً اخجل ان اطلمك عليها شفاهاً فكتابي هذا يظهرها لك بعد مماتي . ان الله رزق والدي ولدين هما اخي الاكبر توما وانا . وكان اخي عنوان الشهامة ومثال اللطف وكرم الاخلاق والدعة والطهارة وطيبة القلب وكنت انا مخاتلاً

مسرّفاً مقامراً الا عهد لي ولا ذمام . وكان والدي يجب اخي ويمقتني فملت بالطبع الى كراهة اخي وكان هو يدافع عني ويزيدني حباً كلما زدته بغضاً . وزين لي الشيطان يوماً فكتبت رسالة عن لسان اخي صدرتها باسمي كأنها مرسله منه اليّ ذكرت فيها كلاماً مؤلماً في حق والدي ورغبتي في تعجيل وفاته والاستيلاء على ثروته لانفاقها في بيوت العواهر والقمار . ثم اتيت اخي توما بعجالة كلية فقلت له اني استدنت من احد اصداقائي بضع ليرات وقد كتبت له سنداً وطلبت من اخي ان يوقع باسمه على ذلك السند . ولم يكن يمتعني مثل ذلك لركة عواطفه وما كان عنده من الحب لي فاخذ الرسالة المذكورة ووقع عليها باهضائه دون ان يقرأها . ولما استوليت على هذا السلاح اطلعت والدي على الرسالة واخبرته اني مها اسرفت فاني لا اقدم على ما يقصد اخي ان يفعله وزدت والدي كلاماً حمله على محو اسم اخي من اسرتنا وحرمانه حقوق اللقب والارث وطرده من البيت . وادرك اخي توما جليلة الامر ولكنه أثر الالهانة والفقر على الاقتصاص مني وكانت الجرائد قد ذكرت الامر فسافر سرّاً مع زوجته الى حيث لم يعلم احد قط . وكان والدي قد تأثر من هذا الامر تأثراً شديداً فاصابه مرض عضال عجل وفاته بعد هذه الحادثة ببضعة اشهر . فاما صرت انا الوارث الوحيد واستوليت على جميع الاملاك والثروة عاد اليّ عقلي فادركت فظاعة الامر وكان ضميري قد افاق بعد سباته فجعل يعذبني ليلاً ونهاراً حتى صممت ان استدعي اخي واستغفره واشهد امام العالم اجمع اني اخطأت اليه واعيد اليه كرامته فبذلت ما في وسعي واعلنت في جميع جرائد العالم طلباً لمعرفة مقرّم فلم افز بطائل . فربما يكون قد بلغ اليأس منه فمات او اتحرر ولكن لا بد من وجدان زوجته او ولد له وهذا ما لا اياس منه ما حبيت . فاذا مت قبل ان ابلي امنيتي هذه فاسع يا ولدي جهدك في تميم رغبتني فاذا وجدت عمك او زوجته او احداً من صلبه فابذل استطاعتك في ارجاعه الى دار اجداده وانشر في العالم الانكليزي اجمع براءة عمك وأعد اليه كل املاكنا وثروتنا فانها حق شرعيّ له ولست انت الا وكيلاً عليها الى حين رجوعه فكن اميناً وقم بحق وكالتك . واني احلفك بتربة

والدتك وبالدم الشريف الذي يسري في عروقك ان تفعل بموجب كتابي هذا  
فتكفّر عن سيئات ابيك وتباركك نفسي  
والدك الشقي الحزين  
سسل شستر

وكان الثلاثة كأن على رؤوسهم الطير فلما فرغ سسل من القراءة نظر الى فلورا  
وقال قد علمت الآن معنى صفح والدك عن ابي على سرير موته فانه كان ينتظر  
الى الدقيقة الاخيرة ان ينتبه ابي الى ما فعل ويصلح ما افسد حتى اذا وجد نفسه  
على شفير الموت ولا امل له في البقاء سمح بالغفران وجعلك انت الرسالة حتى يرق  
قلب والدي ويعوض عليك ما فقدته من حقوقك . ولكن ابنت التقادير الان ان  
تجري على نظامها فانا الان اردّ عليك املاك ابيك فانت اللادي شستر  
صاحبة الارث الشرعية وما انا وشقيقتي الا فقيران . وكانت فلورا كمن ابتلي بالذهول  
فلما الخ عليها سسل ومثيلا ان تأتي معها ليسلما اليها كل شيء حسب الوصية نظرت  
الى سسل بعين يتقد فيها الحب وقالت ساكون صاحبة املاك شستر عملاً بارادة  
والدك فكرت انت صاحبها ايضاً عملاً بارادتي . وفهم سسل مرادها فقال هذا ما  
ارجوه من الدنيا ولم اكن لاطمع فيه بعد ما حصل اما وقد شئت ذلك فانا لك  
ما حيت ثم طوّقها بذراعيه وكانت مثيلا رافعة يديها فوق رأسي اخيها وابنة عمها  
تباركهما وتطلب لهما الهناء

وصمم سسل ان يعمل بارادة ابيه فينشر الامر في الجرائد ففجعت فلورا واكتمت  
بان يعلن براءة ابيها وعودة ابنته بعد وفاته الى استلام حقوقها  
وفي مساء اليوم الاول من السنة الجديدة الذي استقبلت فلورا شمسة  
على ابواب الموت كانت اللادي شستر على مائدة القصر والى يمينها خطيبها سسل  
والى شمالها ابنة عمها مثيلا يتناولون طعام المساء ويعيدون ذكر حوادثهم فيترحمون  
على موتاهم ويوطنون النفس على احياء محامدهم بما تصل اليه ايديهم من عمل المبرات  
والاحسان .

